

المحاضرة السابعة (وفاة النبي صلى الله عليه وسلم)

• الغناصر:

1. حال النبي صلى الله عليه وسلم و قد دنا الفراق.

2. الرسول صلى الله عليه وسلم حال الوفاة.

3. ردود الأفعال بعد الوفاة و تغسيل الرسول صلى الله عليه وسلم.

قال ابن مسعود رضى الله عنه: " دخلنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيت أمنا عائشة رضى الله عنها حين دنا الفراق ، فنظر إلينا فدمعت عيناه صلى الله عليه وسلم ثم قال: مرحبا بكم حياكم الله ، آواكم الله ، نصركم الله ، و أوصيكم بتقوى الله و أوصى بكم الله ، إني لكم نذير مبين ، ألا تعلوا على الله فى بلاده و عباده ، و قد دنا الأجل و المنقلب إلى الله و إلى سدرة المنتهى وإلى الجنة المأوى و إلى الكأس الأوفى فاقربوا على أنفسكم و على من دخل فى دينكم بعدى منى السلام و رحمة الله".

و روى أنه صلى الله عليه وسلم قال لجبريل عليه السلام عند موته "من لأمتى بعدى؟ فأوحى الله تعالى إلى جبريل: أن بشر حبيبي أنى لا أخذه فى أمته و بشره بأنه أسرع الناس خروجاً من الأرض إذا بعثوا ، و سيدهم إذا جمعوا ، وأن الجنة محرمة على الأمم حتى تدخلها أمته، فقال صلى الله عليه وسلم : الآن قرّرت عيني".

قالت عائشة بنت أبى بكر رضى الله عنها: فقبض صلى الله عليه وسلم فى بيتى و فى يومى بين سحرى و نحرى و جمع الله بين ريقى و ريقه عند الموت ، فدخل على أخى عبد الرحمن و بيده سواك فجعل ينظر إليه فعرفت أنه يعجبه ذلك فقلت : آخذه لك ؟ فأوماً برأسه أن نعم ، فناولته إياه فأدخله فى فيه فاشتد عليه ، فقلت له : ألينه لك؟ فأوماً برأسه أن نعم ، فلينته و كان بين يديه ركوة ماء فجعل يدخل فيها يده و يقول (لا إله إلا الله إن للموت لسكرات) ثم نصب يده يقول: الرفيق الأعلى ... الرفيق الأعلى ، فقلت : إذن و الله لا يختارنا.

روى سعيد بن عبد الله عن أبيه قال: لما رأت الأنصار أن النبي صلى الله عليه وسلم يزداد ثقلاً أطافوا بالمسجد ، فدخل العباس رضى الله عنه على النبي صلى الله عليه وسلم فأعلمه بمكانهم و إشفاقهم ثم دخل عليه الفضل فأعلمه مثل ذلك ، ثم دخل عليه على رضى الله عنه فأعلمه بمثل ذلك ، فمد يده و قال "ها" فتناولوه فقال: ما تقولون ، قالوا:

نخشى أن تموت وتصايح نساؤهم لإجتماع رجالهم إلى النبي صلى الله عليه و سلم ، فثار رسول الله صلى الله عليه و سلم فخرج متوكئاً على عليّ و الفضل و العباس أمامه و رسول الله صلى الله عليه و سلم معصوب الرأس يخط برجليه حتى جلس على أسفل مرقاة من المنبر و ثاب الناس إليه فحمد الله و أثنى عليه و قال: أيها الناس ، إنه بلغني أنكم تخافون على الموت كأنه استنكار منكم للموت ، و ما تنكرون من موت نبيكم ألم أنع إليكم و تنعى إليكم أنفسكم؟ هل خلد نبي قبلي فيمن بعث فأخذ فيكم؟ ألا إني لاحق بربي و إنكم لاحقون به ، و إني أوصيكم بالمهاجرين الأولين خيراً و أوصي المهاجرين فيما بينهم فإن الله عز و جل قال: " و العصر إن الانسان لفي خسر إلا الذين آمنوا و عملوا الصالحات و تواصلوا بالحق و تواصلوا بالصبر " و إن الأمور تجري بإذن الله فلا يحملنكم استبطاء أمر على استعجاله ، فإن الله عز و جل لا يعجل لعجله أحد ، و من غالب الله غلبه و من خادع الله خدعه " فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض و تقطعوا أرحامكم " ، و أوصيكم بالأنصار خيراً فإنهم الذين تبوءوا الدار و الإيمان من قبلكم أن تحسنوا إليهم ، ألم يشاطروكم الثمار ؟ ألم يوسعوا عليكم الديار ؟ ألم يؤثروا على أنفسهم و بهم الخصاصة؟

ألا فمن ولى أن يحكم بين رجلين فليقبل من محسنهم و ليتجاوز عن مسيئتهم ، ألا و لا تستأثروا عليه ألا و إني فرط لكم و أنتم لاحقون بي ، ألا و إن موعدكم الحوض ، حوض أعرض مما بين بصرى و الشام و صنعاء و اليمن ، يصب فيه ميزاب الكوثر ، ملؤه أشد بياضاً من اللبن و ألين من الزبد و أحلى من الشهد من شرب منه لم يظماً أبداً ، حصباؤه اللؤلؤ و بطحاؤه المسك ، من حرمه في الموقف غدا حرم الخير كله ، ألا فمن أحب أن يرده على غدا فليكيف لسانه و يده إلا مما ينبغى ، فقال العباس : يا نبي الله أوصى بقريش ! فقال صلى الله عليه و سلم: إنما أوصى بهذا الأمر قريشاً و الناس تبع لقريش برهم لبرهم و فاجرهم لفاجرهم فاستوصوا آل قريش بالناس خيراً ،

يا أيها الناس إن الذنوب تغير النعم و تبدل القسم فإذا برّ الناس برّهم أئمتهم و إذا فجر الناس عقوهم ، قال تعالى: " وكذلك نولي بعض الظالمين بعضاً بما كانوا يكسبون " .

روى ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه و سلم قال لأبي بكر رضي الله عنه: سل أبا بكر فقال: يا رسول الله دنا الأجل ، فقال: قد دنا الأجل وتدلّى فقال: ليهنك يا نبي الله ما عند الله فليت شعري عن منقلبنا ، فقال: إلى الله وإلى سدرة المنتهى ثم إلى

جنة المأوى والفردوس الأعلى والكأس الأوفى والرفيق الأعلى والحظ والعيش المهن ،
فقال: يا نبي الله من يلي غسلك؟ قال: رجال من أهل بيتي الأدنى فالأدنى قال: ففيم
نكفك؟ فقال: في ثيابي هذه وفي حلة يمانية وفي بياض مصر ، فقال: كيف الصلاة
عليك منا؟ وبكينا وبكى ، ثم قال: مهلا غفر الله لكم وجزاكم عن نبيكم خيرا إذا غسلتُموني
وكفنتُموني فضعوني على سريري في بيتي هذا على شفيري قبري ثم أخرجوا عني ساعة
فإن أول من يصلي عليّ الله عز و جل "هو الذي يصلي عليكم وملائكته" ثم يأذن
للملائكة في الصلاة علي فأول من يدخل علي من خلق الله ويصلي علي جبريل ثم
ميكائيل ثم إسرافيل ثم ملك الموت مع جنود كثيرة ثم الملائكة بأجمعها صلى الله عليهم
أجمعين ثم أنتم فادخلوا علي أفواجا فصلوا علي أفواجا زمرة زمرة وسلموا تسليما ولا تؤذوني
بتزكية ولا صيحة ولا رنة وليبدأ منكم الإمام وأهل بيتي الأدنى فالأدنى ثم زمر النساء ثم
زمر الصبيان قال فمن يدخلك القبر قال زمر من أهل بيتي الأدنى فالأدنى مع ملائكة
كثيرة لا ترونهم وهم يرونكم قوموا فادوا عني إلى من بعدي.

• يوم الوفاة:

قالت عائشة رضي الله عنها : فلما كان اليوم الذي مات فيه رسول الله صلى الله عليه
وسلم رأوا منه خفة في أول النهار فتفرق عنه الرجال الي منازلهم وحوائجهم مستبشرين
واخلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنساء ، فبينما نحن علي ذلك لم نكن علي مثل
حالنا في الرجاء والفرح قبل ذلك ، إذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أخرجني عني
هذا الملك يستأذن علي، فخرج من في البيت غيري ، ورأسه في حجري فجلس وتحتيت
في جانب البيت فخاطب الملك طويلا . ثم أنه دعاني فلعاد رأسه في حجري وقال للنسوة
أدخلن .

فقلت : ما هذا بحس جبريل عليه السلام ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
أجل يا عائشة هذا ملك الموت جاءني ، فقال : أن الله عز وجل أرسلني و أمرني أن لا
أدخل عليك إلا بإذن ، ف إن لم تأذن لي أرجع ، و إن أذنت لي دخلت ، وأمرني أن لا
أقبضك حتى تأمرني فماذا أمرك ، وقلت له : اكف عني حتى يأتيني جبريل عليه السلام ،
فهذه ساعة جبريل ، فاستقبلنا بأمر لم يكن له عندنا جواب ولا رأى فوجمنا وكأنما ضربنا
بصاخرة ما نحير إليه شيئاً وما يتكلم أحد من أهل البيت إعظاماً لذلك الأمر وهيبة ملأت
أجوافنا ، قالت : وجاء جبريل في ساعته فسلم فعرفت حسه ، وخرج أهل البيت فدخل .
فقال : أن الله عزوجل يقرأ عليك السلام ويقول : كيف تجددك ، وهو أعلم بالذي تجد
منك ، ولكن أراد أن يزيدك كرامة وشرفاً ، وأن يتم كرامتك وشرفك علي الخلق ، وأن تكون
سنة في أمتك ، فقال صلى الله عليه وسلم : أجدي وجعاً ، فقال : أبشر ف إن الله تعالى
أراد أن يبلغك ما أعد لك ، فقال يا جبريل : أن ملك الموت أستاذ أذن علي وأخبره الخبر
، فقال جبريل : يا محمد إن ربك إليك مشتاق ألم يعلمك الذي يريد بك لا والله ما إستاذن
ملك الموت علي أحد قط ، ولا يستأذن عليه أبداً ، إلا أن ربك متم شرفك وهو إليك
مشتاق ، قال صلى الله عليه وسلم : فلا تبرح إذ ن حتى يجيئ ، وإ عذن للنساء فقال :
يا فاطمة أدني فأكبت عليه فناجاها فرفعت رأسها وعيناها تدمع وما تطيق الكلام ، ثم قال
أدني مني رأسك ، فأكبت عليه فناجاها فرفعت رأسها وهي تضحك ، وما تطيق الكلام
فكان الذي رأينا منها عجباً ، فسألناها سر ذلك ؟
فقلت : أخبرني وقال أني ميت اليوم فبكيت ، ثم قال : أني دعوت الله أن يلحقك بي
في أول أهلي وأن يجعلك معي فضحكت ، وأدنت أبنيتها منه فشمهما ، قالت : وجاء ملك
الموت فسلم وأستاذن له ، فقال الملك : مات أمر يا محمد؟ ، قال صلى الله عليه وسلم :
ألحقني بربي الآن ، فقال الملك : بلي من يومك هذا ، أما إن ربك مشتاق ولم يتردد عن
أحد تردده عنك ، ولم ينهي عن الدخول علي أحد إلا بإذن غيرك ، ولكن ساعتك أمامك
وخرج .

قالت وجاء جبريل فقال السلام عليك يا رسول الله ، هذا آخر ما أنزل فيه إلي الأرض أبداً طوى الوحي وطويت الدنيا وما كان لي في الأرض حاجة إلا حضورك ، ثم لزوم موقفي لا والذي بعث محمداً بالحق ما في البيت أحد يستطيع أن يحير إليه في ذلك كله ولا يبعث إلي أحد من رجاله لعظم ما نسمع من حديثه ووجدنا وأشفقنا .

قالت : فقامت إلي النبي صلى الله عليه وسلم حتى أضع رأسه بين ثدي وأسكت ب صدره وجعل يغمي عليه حتى يغلب ، وجبهته توشح رشحاً ما رأيت من إنسان قط ، فجعلت أسلت العرق ، وما وجدت رائحة شيئاً أطيب منه فكنت أقول له إذا أفاق بأبي أنت وأمي ونفسي وأهلي ما تلقي جبهتك من الرشح ، فقال يا عائشة : أن نفس المؤمن تخرج بالرشح ونفس الكافر تخرج من شذقيه كنفس الحمار ، فعند ذلك أرتعدنا وبعثنا الي أهلنا ، فكان أول رجل جاءنا ولم يشهده أخي بعثته الي أبي فمات رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يجئ أحد وإنما صدهم الله عنه لأنه ولاه جبريل ومكيائيل ، وجعل إذا أغمي عليه ، قال : إلي الرفيق الأعلى ، كأن الخيرة تعاد عليه فإذا طلق الكلام ، قال : الصلاة إنكم لاتزالون متماسكين ما صليتم جمعياً الصلاة الصلاة ، كان يوصي بها حتى مات وهو يقول الصلاة الصلاة .

قالت عائشة رضي الله عنها : مات رسول الله صلى الله عليه وسلم بين ارتفاع الضحى و انتصاف النهار يوم الاثنين .

قالت عائشة رضي الله عنها لما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم اقتحم الناس حين ارتفعت الرنة وسجى رسول الله صلى الله عليه وسلم الملائكة بثوبة فاختلفوا فكذب بعضهم بموته وأخرس بعضهم فما تكلم إلا بعد البعد وخط آخرون فلاتوا الكلام بغير بيان وبقي آخرون معهم عقولهم وأقعد آخرون فكان عمر بن الخطاب فيمن كذب بموته وعلي فيمن أقعد وعثمان فيمن أخرس

فخرج عمر على الناس وقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يمت وليرجعنه الله عز و جل وليقطعن أيدي وأرجل رجال من المنافقين يتمنون لرسول الله صلى الله عليه وسلم

سلم الموت إنما وعده الله عز و جل كما واعد موسى وهو آتيكم ، و فى رواية " يا أيها الناس كفوا ألسنتكم عن رسول الله فإنه لم يمّت ، و الله لا أسمع أحداً يذكر أن رسول الله قد مات إلا علوته بسيفى " ، أما عثمان فجعل لا يكلم أحد يؤخذ بيده فيجاء به و يذهب به.

و لم يكن أحد من المسلمين فى مثل حال أبى بكر و العباس فإن الله عز و جل أيدهما بالتوفيق و السداد وإن كان الناس لم يرعوا إلا بكلام أبى بكر حتى جاء العباس و قال: و الله الذى لا إله إلا هو لقد زاق رسول الله صلى الله عليه و سلم الموت و لقد قال و هو بين أظهركم " إنك ميت و إنهم ميتون ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون "

تغسيل النبى صلى الله عليه و سلم

قالت عائشة رضى الله عنها : لما اجتمعوا الغُسلَةَ قالوا: و الله ما ندرى كيف نغسل رسول الله صلى الله عليه و سلم: أنجرده من ثيابه كما نصنع أو تغسله فى ثيابه ؟

قالت : فأرسل الله عليهم النوم فما بقى منهم رجل إلا و أخذع لحيته على صدره نائماً ثم قال قائل لا يدرى من هو : غسلوا رسول الله صلى الله عليه و سلم فى ثيابه ، فانتبهوا ففعلوا ذلك فغسل رسول الله فى قميصه حتى إذا فرغوا من غسله كُفّن.

وقال علي كرم الله وجهه أردنا خلع قميصه فنودينا لا تخلعوا عن رسول الله صلى الله عليه و سلم ثيابه

فأقررناه فغسلناه فى قميصه كما نغسل موتانا مستلقيا ما نشاء أن يقلب لنا منه عضو لم يبالغ فيه إلا قلب لنا حتى نفرغ منه وإن معنا لحفيفاً فى البيت كالريح الرخاء وبصوت بنا ارفقوا برسول الله صلى الله عليه و سلم فإنكم ستكفون